غزو الأساليب الأعجمية للعربية
والغزو الأجنبي للعربية

للأستاذ إبراهيم السامرائي

تشيع التراكيب والألفاظ الأجنبية ، ولاسيما مايتّصل منها بالمصطلح الفنّيّ الجديد ، فى العربية ويتداولها المعربون فى حاجاتهم قبل أن يكلّفوا أنفسهم بعض العناء فى إيجاد مايصحّ أن يكون مقابلاً لها فى العربية ، وقبل أن تقول فيها مجامع اللغة والمؤسسات الأخرى كلمتها .

إنها عمل فردىّ يقوم به مختصّ أو غيره فيشيع ، وقد يقوم مختصّ آخر فيسلك فى المصطلح سلوكاً آخر ، وهكذا نجد أنفسنا أمامَ جمهرة من الجديد والمعرَّب .

أقول : « الجديد المعرَّب » ، وهو مايُحتفَظ فيه بالأصل الأجنبىّ ، ثم يُضاف إليه شىءٌ من العربية ، فإذا هو معرّب جديد ، ومن هذا : الديمقراطية ، والأرستقراطيّة ، والتكنوقراطية ، والبورجوازية ، والبولشفية ، والديماجوجية ، وغير هذا . ان ذلك كله ممّا زجّ به المعربون ذوو الاختصاص ومنهم الصحفيّون فى العربية المعاصرة قبل أن تباشر المجامع اللغوية سعيها فيها . وكأنّ المجامع قد أقرّت مادأبَ عليه هؤلاء ، وتداوله القُرّاء فاستعملوه وشاع بينهم .

ولم يقف هذا الدأبُ عند حدّ ، فمازلنا نسمع منها الغريب الجديد نحو : البراجماتية ، والماركسية ، واللنينيّة ، والسيميائية ، والسيمانتيكية ، والديالكتيكية والرومانتيكية ، والكلاسيكية ، والليبرالية وغيرها .

وقد أضافت المختصرات الغربية إلى العربية مادة جديدة ، فرحنا نواجه :

(*) قدم البحث إلى مؤتمر المجمع فى دورته الرابعة والخمسين .

اليونسكو أو الأونسكو ، واليونيسيف ، والفاو ، والناتو وغيرها . كل هذا أصبح مادة جديدة فى العربية المعاصرة .

وأنكى من هذا أن أساليب اللغات الأعجمية فى النحت والتركيب وجدت سبيلها إلى العربية ، فشاعت فى الصحف وسائر الأدبيات العربية ، ومن ذلك :

أفرو آسيوية ، وأنكلو أمريكية ، وأنكلوسكسون ، وهندوأوربية ، وهندوايرانية ، وسيكو ألسنية ،

والغريب فى هذا التركيب والنحت اتصال الجزأين بالواو مع حذف شيء من الجزء الأول[1] .

أقول : إن جميع هذا الجديد قد استقرّ فى العربية المعاصرة ، فاستعمله المختصّون وغيرهم ، وألِفه المعنيّون بالعلم اللغوى ، فلم يبتئس منه جملة هؤلاء ، ولا استبعد أعضاء المجامع اللغوية . ولعلّ المصدر الصناعى كان خير معين لهؤلاء المعرّبين ، فهم إذا وجدوا مثلاً المصطلح الأعجمىّ (Historicité) رجعوا إلى كلمة «تاريخ» فكسعوها بالياء المشدّدة والتاء فكان من ذلك «التاريخية» مقابلاً جيداً للمصطلح الأجنبىّ .

ومثل هذا قالوا : «الابستميّة» معرب (Epistémé) ، فلم يكلّفوا أنفسهم إيجاد مايمكن ان يكون مقابلاً عربيًّا للمصطلح الأجنبىّ .

وكأنّ أصحابنا المختصين بالعلوم الاجتماعية[2] يجدون فى المصطلح الأجنبى أصالةً ، فإن رأوا أن يثبتوا مايقابله فى العربية جاءوا بالمصطلح العربى ، وهم كارهون برمون بهذا المقابل العربى ، وكأنهم أعاروه شيئاً من غُربة ، فهم يقولون مثلاً : إن ريكاردو وماركس لم يختلفا على مستوى «الابستمية» ، بل هما اختلفا على مستوى «الدوكسا» (doxa) ، وهم يضعون المقابل «للدوكسا» مايقابله فى العربية بين قوسين وهو

---

(١) أقول : قد يكون هذا مثل المنحوتات القديمة كقولهم : عبشمى لمن نسب إلى عبد شمس ، ومرقسى لمن نسب إلى أمرىء القيس وغيرهما .

(٢) أقول : من العلوم الاجتماعية ما يتصل بعلوم اللغة فى عصرنا ، وقد استقريت هذه الدراسات الجديدة ووقفت فيها على المولد الجديد معرباً أو غير معرباً ؛ وسنبسط الكلام على هذه الغرائب الجديدة .

(الرأى أو الظن) ، ومثل هذا «الفيلولوجيا» الذى وضعوا له بين قوسين (علم فقه اللغة) .

وقد لجأ المعاصرون إلى طرائق القدامى فى التعريب[1] ، وهو مقابلة صوت الكاف الأخيرة فى الكلمات الأجنبية بقافا فى المعرّب الجديد ففالوا : سيمانطيقا ، وميتافيزيقا ، والسبرنيطيقا ، وسيميوطيقا (أو السيميائيات) وهى فى الفرنسية : Cybernétique Métaphysique sémiotique ومثل هذا « الجلوسيماطيقا » وهو Glossémantique ، وقالوا «فونتيقا» وهى phonétique

أقول : واستعارة القاف مقابلاً للكاف الأعجمية هى طريقة القدماء فقد قالوا : الغراماطيقا ، والريتوريقا ، والبوأتيقا والبولتيقا وغيرها ، وهى تقابل : Rhetorique Grammatique Potétique و poétique و .

وقد أبقى المعاصرون الكلمة Logie اليونانية فى كثير من العلوم ، وتعنى العلم ، وقد سبقها مفردات عدة تشير إلى أسماء العلوم فقالوا : جيولوجى أو جيولوجيا ، والوصف منه نسبة إليه جيولوجىّ وجيولوجيّة وبايولوجى لما يدعى « علم الحياة » يدخل فيه الحيوان والنبات ، و «فيزيولوجى »[2] ، و «سيكولوجى » (لعلم النفس) و «انتروبولوجى » و «اتنولوجى » (لما يدعى علم الانسان) ، و (ميثولوجى » (لعلم الأساطير) ، و «تكنولوجى » أو «التكنولوجيا »[3] ، و «الكرونولوجيا» «للتسلسل الزمنى) ، وإديولوجى ، و «إبستمولوجى » أو «الابستمولوجيا» (للمعرفة) و «ثيولوجى » (لما يتصل باللاهوت) ، و «اسكاتولوجيا » (بمعنى

---

(١) وقد عرب العرب فى أوائل هذا العصر كلمة « فيزيك » Physique ، فوضع الأستاذ عز الدين التنوخى —رحمه الله— مصطلح « فيزياء » حملها على كلمة «كيمياء» فى المعربات القديمة وقد وضع الأستاذ التنوخى أول كتاب أسماه «كتاب مبادىء الفيزياء» لطلبة دار المعلمين الإبتدائية فى بغداد ، وذلك قبل سنة ١٩٣٠ م .

(٢) وقد عرب أهل عصرنا منذ عشرات من السنين فقالوا : فسلجة كما قالوا : فلسفة .

(٣) وقد وردتنا بأخرة « التكنولوجيا » فهرع نفر من المعنيين إلى وضع مقابل لها فقالوا : « التقنية » ، وكأنهم أخذوا هذا من كلمة « تقن» للمتقن البارع فى علم أو فن أو أى شىء آخر. غير أن شيوع « التكنولوجيا » قد راح يحجب شيئاً فشيئا المقابل العربى حتى كاد ينسى .

النبوءة) ، و «اركيولوجى» و «أركيولوجيا ومن الغريب قولهم : «مصرولوجى» (لما يدعى المصريات) ، و «الفنومنولوجيا» (لما يدعى بعلم الظواهر) ، و «الفيلولوجى» و «الفونولوجى» ، و «المورفولوجى» ، وغيرها كثير .

وقد ترد هذه المواد وحدها دون ذكر المقابل فى العربية ، وهذا يعنى أنها اكتسبت الشيوع فاستغنى بها عن المقابل العربى .

وقد نجد الكثير من هذا الجديد معرّباً وغير معرّب فى كتابات أصحابنا الجدد من اللغويين ينظرون إلى العلم اللغوى نظر الغربيين مع التفاتة يسيرة إلى ماقاله العلماء المتقدمون من العرب .

إن علم اللغة يجتاز فى عصرنا مرحلة خاصة متسمة بالحركة الدائبة بحيث ذهب نفر من الدارسين إلى رد كثير من العلوم إلى الحيّز اللغوى . وقد حملت إلينا هذه الحركة الدائبة «البنيوية»[1] الجديدة . وها أنذا أعرض لطائفة من هذا المعرب الجديد ممّا وقفت عليه فى كتب أصحابنا ، وليست بى حاجة إلى أن أشير إلى هذه الكتب ، ذلك أن هذه المولدات جاءت مختلفة بعض الشىء فى هذه الكتب ، والمهم عندى أن هذا قد كان بسبب أنها جهود فردية ، فكلٌّ يجتهد على طريقته .

قال أحد هؤلاء الدارسين :

إن مفهوم «البنيـة» قطيعة «ايستمولوجية» مع كل فلسفة تتخذ نقطة انطلاقها من «الذات» أو «الكوجيتو» .

وأنا أدعو القارىء ألا يذهب به الظن إلى أن «البنية» عند هؤلاء شئ يقابل «البنية» أو «البناء» عند سيبويه ، ذلك أن «الأبنية» التى أشار إليها سيبويه فى «الكتاب» معروفة ، وكذلك لدى سائر علماء العربية المتقدمين والمتأخرين ذلك إنها مادة جديدة تقوم على قاعدة

---

(١) ومن الغريب أن الذين جاءوا بـ «البنيوية» منسوبة إلى «البنية» لم يعرفوا أن النسبة إلى «بنية» هو «بنوى» لأن الياء تقلب واواً مثل «قرية» والنسبة إليها «قروى» ، والنسبة إلى «لحية» هو «لحوى» ومثل ذلك الكثير .

فلسفية لها مكانها فى جميع العلوم .

ومن هنا كان «المنطق» و «علوم الرياضيات» ممّا يدور فى فلك «البنية» الجديدة ، هذا الإكسير الجديد الذى يفُض مغاليق العلم :

ومن أجل هذا ظهرت «البنية السطحية» و «البنية العميقة» فى كتابات اللغويين المعاصرين «بنيويين» وغير «بنيويّين» .

ويحسن بى أن أضع بين يدى القارئ ما يقوله أحدهم فى «كتابه» :

«ومن هنا استحالت «البنيويّة» ـ إنْ من حيث أرادت ، أو من حيث لم ترد[1] ـ إلى «لغة شارحة لحضارتنا» (أو إنْ شئت قلت : «ميتالغة» (كذا) (Méta-Langane) للثقافة المعاصرة .

ليس قصدى مما ذكرت أن أنال من صاحبنا هذا ، ولكنى أقصد إلى إظهار جرأة أصحابنا على العربية ! !

ولى وقفة أخرى على طرفة ممتعة وذلك قول صاحبها : وعلى حين بقيت كلمة «بنية» ـ فى كل من «الفسيولوجيا» وعلم النفس ـ مجرد مرادف لكلمة «صورة» أو «صيغة» أو «جَشطلت» (كذا مع التشديد على أهمية «شبكة»[2] العلاقات القائمة بين العناصر . . .

أقول : لقد أدخل هؤلاء فى طرائق بناء اللفظ فى العربية شيئاً لم تعرفه العربية ، فقالوا مثلاً : «القبتاريخية» وصفاً لأحداث سبقت العصور التاريخية .

ان هذا البحث يومئ إلى مافى الفرنسية أو الانكليزية من الجزء الذى تصدّر به الكلمة فى هاتين اللغتين وغيرهما من اللغات الغربية ، الذى يُدعى فيها (Préfixe) ، فيقال فى الفرنسية مثلاً : (Préhistorique) ، وكأنّ «القبتاريخية» تقابل الكلمة الفرنسية

---

(١) أقول : هذا الذى حصره الدارس بين شارحتين ، ولا أدعوه جملة اعتراضية يدعو إلى الدهشة ، وذلك لأنه جملة شرطية على منوال ما يستسيغه الكتاب الجدد ، وهو شىء لم يرد فى أسلوب الشرط الذى عرفناه فى لغة التنزيل أو كلام العرب .

(٢) أقول : كأن «الفسلجة» الكلمة المعربة أصبحت لا تفى بالمرام لدى هؤلاء الدراسين الجدد ، فعدلوا عنها الى الأصل الأعجمي ، وكأنهم عربوه بادخال الألف واللام للتعريف .

وتؤدّى ماتؤديه . غير أن هذا المولّد الجديد فى العربية قد استعير له الطريقة الأعجمية فى البناء ، و «الفبتاريخية» هى «ماقبل التاريخية» .

وأضيف إلى هذا شيئاً يقرب منه ، وهو «القبل رومنطيقى» و «البعد رومنطيقى» وهو شئ وقفت عليه فى كتاب آخر لمؤلف آخر ، يجعل مما أثبته مقابلاً لما فى الفرنسة من مصطلح ، وهما : Préromantique و Posromantique أليس هذا كله بغريب !

ومن هذه الغرائب التى اجترأ فيها أصحابها على العربية استعمال أحدهم فى كلام له على «التراث والمعاصرة» مصطلحاً جديداً يدخل فى جملة هذه «الغرائب» هو «الأتاريخية اللاعلمية»[1] .

ان الهمزة فى «الأتاريخية» غزو جديد كما سأبسطه :

يتساءل الدارسون عن هذه «الهمزة» التى تصدّرت «التاريخية» ، والجواب : إنها همزة مستعارة لصرف الكلمة إلى عكسها أو ضدّها ، وعلى ذلك فإن «الأتاريخية» تعنى محو التاريخ وإلغاءه . والتصدير بالهمزة هو من اللغات الأعجمية ، ومنه فى الفرنسية :

الكلمة Morph وتعنى «الشكل» وأما عديم الشكل فهو Amorphe . ومثل هذا : Politque[2] لما هو «سياسى ، فأما مَن لايُعنَى بالسياسة فهو Apolitique[3]

وقد يشيع المصطلح الذى يختار من العربية ، وشيوعه يعنى صاحبه من

---

(١) أقول : و «اللاعلمية» مركب من «لا» النافية وما بعدها ، وهذه طريقة اتبعت فى **أوائل هذا** القرن فقالوا «لا سلكى ، و «لا شعور» و «لاوعى» وغيرها وكأن هذه قد ركبت من «لا النافية وما **بعدها** ، **ومن** أجل ذلك عرفوها بالألف واللام فقالوا : اللاسلكى واللاشعور .

(٢) أقول : لقد عرب الأوائل هذه الكلمة على طريقتهم فقالوا : «أبولتيقا» نظير **الفراماطيقا** وغيرها ، وكنا اثبتنا هذه الطريقة القديمة .

(٣) أقول : إن هذه الهمزة فى الكلمة الأعجمية لاصلة لها و «همزة السلب والإزالة» التى نعرفها فى الفعل أقذى» ، قالوا : «أقذيت عين فلان» أى أزلت القذى عن عينه ، وأعجمت الكتاب ، أى أزلت عجمته بنقطة .

إثبات الأصل الأعجمى ، فمن ذلك شيوع « الاغتراب » أو « الاستلاب » لفائدة نفسية فى كتابات أهل الاجتماع والتربية ، وشيوعه أعنى هؤلاء الكتاب عن إثبات المقابل الأعجمىّ وهو (alienation) .

ويقول أحدهم : « . . . وأخيراً يهتم « ديلوز » بابراز الطابع « المحايث » أو « الكمونى » (Immanent) للبنية .

قد يقف القارىء غير المتعود على هذا الجد ، فيستغرب كلمة « المحايث » ، حتى إذا ادرك أنها من الظرف « حيث » تملّكته الدهشة ، وهو لايدرك هذا إلا بعد استيعاب الكلمة الأعجمية ان كان من الشادين لشىء من الفرنسية أو الانكليزية .

ونجد لدى هؤلاء القائلين بـ « البنيوية » « ضميراً مستتراً » يعود على عالم سويسرى هو « فردناند دى سوسير » المتوفى سنة ١٩١٣ من أساتذة جامعة جنيف ، أو أن الضمير يعود أحياناً على عالم أمريكى آخر هو « بلومفيلد » ، وقد يعود على آخرين .

ومما جاء به « دى سوسير » مصطلحان هما : (Synchronique) و(diachronique) : وقد أراد بالأول ما هو « تزامنىّ » أو « تواقتى » وهذا ترجمة من ترجمات أخرى لهذين المصطلحين وكلاهما بناء مولد ، فلم نعرف « التزامن » و « التواقت » فى مادة « زمن » ومادة « وقت » . وقد أراد بالثانى « المتعاقب » أو « المتطور » .

وقالوا أيضًا : « تزامنى » و « تعاقبى أو تطوّرى » وكله جديد لم نعرفه إلا فى قراءتنا لهذا العلم الجديد الذى يستمد مادته من المجتهدين الغربيين .

هذا كله جديد لم يدخل فى حيز النشاط المجمعى .

قد يقول أصحابنا الدارسون : إن علم اللغة فى العربية فى عصرنا يفتقر إلى هذا الجديد ، فلابد أن يكون شئ فى هذا السبيل . أقول : إن هذا لحقّ لامراء فيه ، على أن يكون للعربية اعتبارها .

ويقول أحدهم فيما كتب : « . . . ان « الذات » يقوم بها « الفكر الموضوعى ». ومعنى هذا أنه ليس لدى « لينى شتراوس »

أحد العلماء القائلين بـ « البنيوية » ؛ « كوجيتو » (كذا) فردىّ على طريقة « ديكارت » ولا أىّ « كوجيتو » اجتماعى على طريقة « سارتر » . . . . أقول : كان على الكاتب أن يثبت شيئاً ينفى بشرح « كوجيتو » لأنها مما لايعرفها جمهرة من الدارسين العرب ، ماضرّه لو أشار إلى ان « الكوجيتو » مايتصل بالفكر والتأمل .

لعل أصحابنا هؤلاء الممارسين لعلم اللغة الجديد يقصدون فتنة القارئ العربى بهذه الألوان الجديدة ، مع إقرارى أن صنيعهم مفيد على كل حال .

قال أيضًا : « . . . وقد لايكون فى جملة « لينى شتراوس » العنيفة على كل نزعة ذاتية متصرفة مايبرّر تسمية فلسفته باسم « الكانتيـة » [1] أو « الترنسندنتالية » . . . . أقول : و « الترنسندنتالية » فلسفة تقوم على أن الحقيقة السامية لايمكن ادراكها ، وأنها توكد البدايات الروحية لكل ماهو مادىّ ملاحظ بالعيان .

وأنا اختم هذا الموجز بذكر مواد خاصة تندرج فى معجم اللغويين المعاصرين فأقول :

قالوا : « صوْتَم » لما هو (Phonème) [2]

أقول : لقد زادوا الميم ليخرجوا من « الصوت » إلى مصطلح جديد يقابل المصطلح الأعجمىّ .

و « نظام الصواتم » وهو Système des phonèmes و « المَنْظَم » : systemage

و « المَعْلَم » : Glossème

و « المِفْهَم » : Séonème

و « اللفْظَم » : Monème

و « القَرْفَم » : Morphonème

و « المَنْغَم » : Tonème

---

(١) « الكانتية » هى فلسفة الفيلسوف « كانت » ، وقد تحولت التاء من « كانت » إلى طاء فى لغة المعربين .

(٢) أقول : إن اضافة الميم على « صوت » تومىء إلى الميم فى « Phonéme » ، وليست هى كالميم التى أضيفت فى العربية القديمة إلى ازرق « فقالوا » : « زرقم » للشديد الزرقة ، و « صلدم » المشديد الصلابة ، والأصل « صلها » ومثلها اضافة النون إلى « رعش » و « ضيف » فقالوا : « رعشن » و « ضيفن » والأول للمرتعش كثيرا والثانية لمن يحضر مع الضيف ولم يدع .

و «الرُّوسَم» : Graphème

و «السُّوْنَم» : Cénème

و «صَوْتمية» : Phonologi

و «صَيْغَمِيّ» : Morphologique

و «صَيْغَمِيّة» : Morphologie

و «مَعْنَم» : Sème

و «مَعانِم» : Sémes

و «مَعْنَمى» : Sémique

وقالوا : «وَحْديم» و «وَحْديمات»
لما هو Monème Morphème

وقالوا : «الطرائق الصرف دلالية»
لما هو : Procèdés Morpho-Sémantiques

وقالوا : «الطرائق الصرف نحوية»
لما هو : procèdès Morpho-Syntasiques

وقالوا : « الصرف ـ صوتمية لما هو :
Morpho-Phonologique

وبعد فهذه جملة مواد اصطلاحية بسطتها بين أيدى المجمعيين للنظر فيها ، وقد أثبتها غير واحد من أهل الاختصاص ، وهى على مافيها شئ يلزم العربية فى عصرنا .